

10 تفسير سورة المؤمنون | أول السورة إلى 7 | تفسير ابن كثير

علي غازي التويجري

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم صلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. اما بعد فنبداً في سورة المؤمنون - [00:00:00](#)

وقبل البدء بتفسير آياتها نتكلم على بعض المسائل المتعلقة بها. فاولا اسمها او اسمائها تسمى بسورة سورة المؤمنين وتسمى سورة المؤمنين وتسمى قد افلح وتسمى سورة الفلاح فاما تسميتها بسورة المؤمنين - [00:00:19](#)

فباعتبار اضافة السورة الى المؤمنين لافتتاحها بالاخبار عنهم بانهم قد افلحوا وقد وردت تسميتها كذلك سورة المؤمنين بالاضافة فيما رواه النسائي بسند صحيح كما يقول اللباني عن عبد الله بن السائب - [00:00:50](#)

قال حضرت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فصلى في قبل الكعبة فخلع نعليه ووضعها عن يساره فافتتح سورة المؤمنين فلما جاء ذكر موسى او عيسى اخذته سعة السعة يعني ما يسمى الان يسمونها - [00:01:13](#)

كحة ان جاءته كحة اثر حلقه اخذته سعة فركع واما تسميتها بسورة المؤمنين المؤمنين يعني ما جرها بالاضافة مع ان موقعها موقع مضاف اليه قال قالوا والثاني يعني سورة المؤمنين على حكاية لفظ المؤمنين - [00:01:38](#)

الواقع في اولها في قوله قد افلح المؤمنين اذا سورة المؤمنين قلنا المؤمنين ولم نجرها ونقول المؤمنين لان هذا على سبيل الحكاية كما يقال سورة المنافقون سورة المؤمنين هذا على سبيل الحكاية يبقى المحكي على حاله - [00:02:11](#)

وتسمى سورة قد افلح لانه جاء في اولها قد افلح المؤمنين وتسمى سورة الفلاح اخذا من معنى قد افلح المراد به الفلاح يعني نال الفلاح وسميت بسورة المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما مر معنا في حديث عبد الله بن السائب - [00:02:37](#)

واما نوعية او اما نوعها فهي مكية بالاتفاق مكية بالاتفاق وهناك من توقف في بعض ورود لاجل ورود ذكر الزكاة فيها وقد رد هذا ابن عاشر في التحرير والتنوير وبين - [00:03:01](#)

انه لا يلزم من ذكر الزكاة ان تكون السورة مدنية بل قد تكون مكية وسيأتي توجيهه هي عليك وترتيبها في النزول هي سورة السادسة والسبعون نزلت بعد سورة الطور وقبل سورة الملك - [00:03:23](#)

وقبل سورة الملك وقوله تبارك الذي بيده الملك واما عدد آياتها فعددها الجمهور مئة وسبع عشرة اية واعددها الكوفيون مائة وثمانية عشرة اية وقد سبق ان قلنا ونقول انه لا يلزم من اختلاف - [00:03:48](#)

العادين لآيات السور لا يلزم اختلافهم في العدد ان يكون ذلك اختلاف في القرآن فهؤلاء عندهم اية زائدة والآخرين اسقطوا هذه الآية. لا القرآن هو هو كما هو بلا زيادة حرف ولا نقصانه - [00:04:19](#)

لكن الفرق بينهما ان بعضهم يعد هذه الآية ايتين وبعضهم يعدها اية كما في قوله جل وعلا هنا اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون الجمهور عدوها اية واحدة - [00:04:42](#)

بينما الكوفيون عدوها ايتين اعدوا قوله جل وعلا اولئك هم الوارثون اية وقوله الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون اية اخرى ولهذا زاد العدد عندهم عن الجمهور مئة وسبعة عشر وهم مئة وثمانية - [00:05:02](#)

عشر يقول الله جل وعلا قد افلح المؤمنين الفلاح هو الفوز والظفر بالمطلوب والنجاة من المرغوب واذا ذكر فهو يدل على صلاح من حصل منه ذلك وعلى خيريته وعلى حصوله على النعيم - [00:05:24](#)

وعلى المرغوب فيه والمطلوب وعلى نجاته مما يرهب ويخاف وهذا اخبار ولكنه يتضمن الامر فهو اخبر ان المفليحين قد ان المؤمنين

قد افلحوا فذكر شيئا من صفاتهم فهم مفلحون لهذه الصفات - [00:06:01](#)

لخشوعهم في صلاتهم واعراضهم عن اللغو وفعل الزكاة الى ما الى اخر ما ذكر لكنه يتضمن الامر والحث افعلوا ذلك حتى تكونوا من المفلحين قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم - [00:06:30](#)

خاشعون هذا اول صفاتهم الذي حصل به على الفلاح وهو خشوعهم في الصلاة وقبل ذلك نذكر بعض الاثار التي ذكرها ابن كثير رحمه الله في تفسيره مما يدل على فضل - [00:06:51](#)

هذه السورة ويدل ايضا على فلاحى المؤمنين وهو ما رواه النسائي عن يزيد ابن باب نوس قال قلنا لعائشة يا ام المؤمنين كيف كان خلق كيف كان خلق رسول الله - [00:07:15](#)

صلى الله عليه وسلم قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت قد افلح المؤمنون حتى انتهت الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم - [00:07:44](#)

والحديث احد طرقه او رواه ابن حبان ورواه الحاكم باسنادين قال عن احدهما صحيح ووافقه الذهبي وشرط الحديث الاول كان خلقه القرآن هذا رواه مسلم في صحيحه وبعض اهل العلم ضعف هذا الحديث لكن معناه حق ولا شك - [00:08:00](#)

وان كان الاسناد فيه ما فيه فهو فمعناه حق وبعض اهل العلم يحسن هذا الحديث مجموع طرقه ومما اورده ابن كثير ايوا ما رواه البزار الطبراني عن ابي سعيد الخدري قال خلق الله الجنة - [00:08:32](#)

لبنة من ذهب ولبنة من فضة وعرسها وعرسها للمؤمنين عرسها بالاشجار وقال لها تكلمي تكلمي فقالت اي الجنة قد افلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك وهذا - [00:08:57](#)

موقوف على هذا حديث صححه الالباني في السلسلة الصحيحة او غيره وهو موقوف على ابي سعيد لكنه جاء مرفوعا وفي موطن اخر بسند صحيح وعلى كل حال حتى لو كان موقوفا على ابي سعيد - [00:09:27](#)

فان له حكم الرفع لان مثل هذا لا يقال بالرأي انما في الجنة وكلام الملائكة هذي من الامور الغيبية التي لا يقول فيها الصحابي برأيه لكنه محمول على انه سمع ذلك - [00:09:49](#)

من النبي صلى الله عليه واله وسلم وايضا روى الطبراني في الاوسط والبزار عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة - [00:10:07](#)

وملاطها المسك روى ايضا البزار بسند قال عنه الالباني في صحيح الترغيب بانه صحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم حائط الجنة حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي - [00:10:30](#)

فقالت قد افلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك هذه كلها احاديث صحيحة فتدل على فضل الجنة وما اعده الله عز وجل لاهلها من النعيم وان لبنها وما بنيت به - [00:11:05](#)

هو من الذهب والفضة وكذلك ايضا املاطها وكذلك عرسها فهو يدل على فضلها وما فيها من النعيم المقيم ثم قال جل وعلا الذين هم في صلاتهم خاشعون قبل ذلك قال ابن كثير فقوله تعالى قد افلح - [00:11:30](#)

المؤمنون اي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف الذين هم في صلاتهم خاشعون قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس خاشعون اي خائفون ساكنون - [00:11:57](#)

يعني قلوبهم وجلة لوقوفهم بين يدي الله واستحضارهم المقام وهم ساكنون لا يتحركون ويضطربون وكثروا يا عم مجاهد والحسن وقتادة والزهري فقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين - [00:12:16](#)

الخشوع خشوع القلب وقال الحسن البصري كان خشوعه في قلوبهم فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا الجناح وقال محمد ابن سيرين كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلاة - [00:12:37](#)

فلما نزلت هذه الاية قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون خفطوا ابصارهم الى موضع سجودهم قال ابن سيرين كانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد اعتاد النظر فليغمض - [00:13:02](#)

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم بل روى ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أيضا مرسل طبعاً والمرسل الأصل أنهم من أنواع الضعيف أن عطاء ليس بصحابي قال أن قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه - [00:13:25](#)

الآية إذا الخشوع هنا يحملوا على كل هذه الأمور خشوع القلب وخشوع البدن أيضاً لهذا يقول ابن كثير والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها - [00:13:46](#)

وأثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال - [00:14:11](#)

حبب إلي حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة وهذا حديث صحيح وقال أيضاً قال الإمام أحمد حدثنا وكيل حدثنا مسعر عن عمرو بن مره عن سالم بن أبي الجعد - [00:14:30](#)

عن رجل من أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بلال أرحنا بالصلاة وأسانده صحيح وله طرق منها ما عند أحمد وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قم يا بلال فأرحنا - [00:14:51](#)

بالصلاة المؤمنون الخاشعون الذين يخشعون في الصلاة وتطمئن قلوبهم وتذل لله تخشع كما تخشع أبدانهم هم المفلحون لأنهم يعقلون معنى الصلاة ويعبدون الله كأنهم يرونه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه - [00:15:09](#)

فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن المصلي واقف بين يدي الله جل وعلا تتاجيه فلا بد من خشوع القلب تذلل بين يدي الله ووجله وحضوره هذيفة ابتلي بها كثير من المسلمين - [00:15:36](#)

فلا بد للإنسان يعالج نفسه يعالج نفسه ولهذا جاء في بعض الآثار أن رجل من التابعين سأل الصحابة كيف تفعلون إذا صليتم فقال له الصحابي كنا نبادر الوسواس نبادر الأسس يعني سابق الوسواس بمعنى - [00:16:00](#)

أن أحدهم إذا دخل في الصلاة انشغل أما بالسماع بالاستماع إلى الإمام ولا يوسوس يترك يغفل ويبدأ يوسوس ولا يدري ماذا يقرأ الإمام لا إذا كان الصلاة جهرياً يستمع الإمام ولا يبادر إلى القراءة هو - [00:16:20](#)

ويعقل ما يقول ويتأمل وينشغل فيه وبمعناه وما دل عليه ويبادر الوسواس الذي هو الشيطان الذي يوسوس للإنسان فيقول له أذكر كذا أذكر كذا لما لم يكن يذكر ثم قال جل وعلا قال الذين هم في صلاتهم خاشعون - [00:16:38](#)

والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن كثير أي عن الباطل يعني فسر اللغو بأنه الباطل قال أي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قال بعضهم والمعاصي كما قال آخرون - [00:17:02](#)

وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراماً قال قتادة أتاهم والله من أمر الله ما أتاهم من أمر الله ما وقدهم عن ذلك - [00:17:22](#)

يعني ما منعهم من ذلك فالغو منهم ما فسره بأنه الشرك ومنهم من فسره بأنه المعاصي ويرى ابن كثير أنه عام بلغوا هو القول الباطل اللغو هو القول الباطل بل هو الباطل كله - [00:17:42](#)

فهم معرضون عنه عن الشرك عن المعاصي عن الأقوال والأفعال والذين هم عن اللغو معرضون الإنسان حينما يعرض ويترك اللغو يعرض عنه أن يتركه ولا يشتغل فيه ولا يفعله فإن هذا من علامة الفلاح فيه - [00:18:13](#)

لأن كثيراً من الناس يشتغل باللغو والأذن في القول والفعل تلك الأفعال ولا يحصل من ذلك إلا الأثم فالمؤمن يعرض عن هذه الأمور أن يترك الذنوب والمعاصي ويقبلوا على طاعة الله - [00:18:41](#)

فهذا هو المفلح هذه من صفات المفلحين ثم قال جل وعلا والذين هم للزكاة فاعلون هذه فيها ثلاثة أقوال قال بعضهم وهم الأكثرون المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال والذين هم للزكاة فاعلون أي يؤدون زكاة - [00:19:01](#)

أموالهم وهذا يشكل عليه أن هذه السورة مكية وهذه الآية مكية بسورة مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة كما قال الحافظ ابن كثير ثم وجه ابن كثير - [00:19:25](#)

بعد أن ذكر أنها فرضت سنة اثنتين قال الظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات ذات النصب والمقادير الخاصة والظاهر أن

اصل الزكاة كان واجبا من مكة كما قال تعالى في سورة الانعام وهي مكية واتوا حقه يوم حصاده - [00:19:56](#)

اذا الزكاة فرضت بمكة فرض اصلها عليهم زكاة ولم تبين لهم المقادير لكن عليهم شيء يجب لكن تفصيل المقادير في الخارج من الارض نصف العشر او العشر في بهيمة الانعام كذا وكذا - [00:20:21](#)

في النقدين كذا هذه التفاصيل جاءت في السنة الثانية بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لكن في مكة فرضت عليهم زكاة ولعله والله اعلم ترك لهم اخراج المقدار بانفسهم. ولهذا قال اتوا حقه يوم حصاده - [00:20:41](#)

لكن في المدينة فصل ذلك وبين وقرر اذا هذا يؤيد ان السورة كلها مكية وما كون بعضهم يتوقف لورود الزكاة فيها والزكاة ما فرضت الا بالمدينة نقول لا الذي فرض في المدينة هي المقادير والانصبة وتفصيلات الزكاة - [00:21:00](#)

واما زكاة فرضها كان بمكة كان يجب عليهم حقا في اموالهم ولم يأتي بيانه فيرجعوا الى اجتهادهم والى ما تجود به انفسهم ثم فصل بعد ذلك في المدينة هذا هو القول الاول ان المراد بها زكاة الاموال - [00:21:22](#)

وهو الابرار والله اعلم والقول الثاني لا ليس هو الاظهر لانه سيأتي ان ابن كثير يرجح العموم وهو الاظهر العموم اظهر وليس انها زكاة الاموال خاصة وان كان زكاة الاموال داخلة في ذلك - [00:21:42](#)

والقول الثاني يحتمل ان المراد بالزكاة هنا قال ابن كثير زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وفي قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يأتون الزكاة - [00:22:00](#)

على احد القولين في تفسيرها يعني من هم فسرهما؟ لا يؤتون الزكاة يعني لا يزكون انفسهم بالتوحيد وترك الشرك وقال بعضهم لا يؤتون الزكاة يعني زكاة اموالهم قال وقد يحتمل ان كلا الامرين هذا القول الثالث - [00:22:16](#)

وقد يحتمل ان كلا الامرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فان من جملة زكاة النفوس فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا والله اعلم - [00:22:35](#)

نعم اذا الذين هم للزكاة فاعلون يزكون انفسهم بالتوحيد وترك الشرك وايضا يزكون اموالهم ويؤدون آ الزكاة التي فرضها الله عليهم في اموالهم اذا توفرت فيها شروط الزكاة ثم قال جل وعلا - [00:22:53](#)

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون هذه من صفات المؤمنين المفليحين الكامل انهم لفروجهم حافظون - [00:23:18](#)

يحفظون فروجهم فلا يقعون في الزنا ولا في عملي قومي لوط ولا في الاستمراء او العادة السرية لهذا يقول ابن كثير ايها الذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا او لواط - [00:23:35](#)

ولا يقربون سوى ازواجهم التي احلها الله لهم وما ملكت ايماهم من السراري ومن تعاطى ما احله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك اي غير الزواج والاماء - [00:24:01](#)

واولئك هم العادون اي المعتدون لكن يلاحظ ان الحافظ ابن كثير هنا قال فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا او لواط وقد تكلم بعض اهل العلم ومنهم الشيخ بن عثيمين انه لا ينبغي ان يقال لواط - [00:24:22](#)

لان لوط لا علاقة له بهذا. هذا عمل قوم لوط ولا نجد في السنة ما يدل على ان هذا يسمى لواط ما الذي جاء في السنة من وجدتموه يعمل عملا قوم لوط - [00:24:41](#)

فالافضل ان يقال الانسان من زنا او من عمل قوم لوط او من اتيان الرجال في ادبارهم او ما شابه ذلك فالحاصل ان هذه من صفات المؤمنين الكامل المفليحين انهم قد حفظوا فروجهم - [00:24:55](#)

فلم يقعوا في الزنا ولم يفعلوا ما فعله قوم لوط ولم يأتوا النساء في ادبارهن ولا الرجال فحفظوها من الوقوع فيما حرم الله الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم - [00:25:17](#)

فان الله احل لهم الزواج فلا يحفظون فروجهم عن ازواجهم. يأتي الرجل امرأته او ما ملكت ايماهم ملك اليمين الرق الرقيق كان الرجل يشتري المملوكة العبدية فيطؤها من غير عقد لانها ملكه شراة. اشتراها بماله - [00:25:38](#)

سرية او مملوكة فكان يطأها ولا شيء عليها الله الذي احل لهم ذلك و لا لوم عليهم ولا عتب ولهذا قال فانهم غير ملومين لا لوم عليهم ليس عليه ليس عليهم لون في الشرع - [00:26:02](#)

لا يلومهم الله على ذلك ولا يلومهم رسوله صلى الله عليه وسلم ولا المؤمنون لانهم ما فعلوا شيئا ينكر ما فعلوا امرا يلام عليه او ملامه بل فعلوا ما احل الله لهم - [00:26:26](#)

واتوا ازواجهم او اماؤهم ولهذا قال فانهم غير ملومين ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون من ابتغى وراء ذلك يعني وراء الزوجة وملك اليمين واولئك هم العادون - [00:26:40](#)

والعادون جمع عاد وهو المتجاوز بحدود الله المعتدي العادون الذين اعتدوا وتعدوا الحد الذي حده الله جل وعلا هم اثمون بذلك ومن طلب غير الزوجة طلب الجماع او النكاح من غير الزوجة وغير ملك اليمين - [00:27:08](#)

فهو معتد متجاوز لحدود الله جل وعلا فان كان بكرا جلد مئة وغرب عام وان كان ثيبا رجم وان فعل ذلك في رجل فانه يقتل ايضا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - [00:27:41](#)

وانا وجدتموه يعمل ما وجدتموه يعمل قوم لوط تقتله واختلف الصحابة في كيفية قتله فمنهم من قال يرحم بالحجارة منهم من قال يرمى بالسيف منهم من قال يرمى من شاهق - [00:28:12](#)

ويتبع بالحجارة لكن من حيث الجملة هم متفقون على ان حكم من فعل اللواط من فعل فعل قوم نوح من فعل فعل قوم لوط فانه يقتل اما رجما واما تعزيرا بالسيف - [00:28:29](#)

او نحو ذلك ثم قال جل وعلا نعم. وهنا مسألة مهمة جدا اشار اليه ابن كثير بقوله وقد استدلل الامام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمنا باليد بهذه الآية الكريمة - [00:28:46](#)

وهو ما يسمى اليوم بالعادة السرية او الاستمنا باليد وجاء في حديث ضعيف ناكح يده يسمى نكاح اليد لانه يضع يده على فرجه ويحركه الى ان يستمني الشافعيون معه يستدلون بهذه الآية - [00:29:16](#)

قال لان الله جل وعلا قال الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العدو الا على ازواجهم وما ملك الايمان فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك - [00:29:46](#)

وراء الزوجة وملك اليمين فهو معتدي وكون الرجل يمني بيده اليد ليست زوجة ولا ملك يمين هو معتدي متجاوز فيما حرم الله عليه هذا الاستدلال واضح وظاهر بناء على هذا فان العادة السرية وما يسمى بالعادة السرية حرام - [00:29:58](#)

لا تجوز ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصيام فانه له وجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال من يستطيع يتزوج هل قال يستملي بيده يستعمل العادة السرية؟ قال لا فعليه بالصيام. لماذا فانه له وجاء. يعني يجأ ويقطع الشهوة الصيام فما يحتاج الى استمنا - [00:30:43](#)

وكما يقول اهل العلم البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة فلو كان الاستمنا جائزا لاشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزوجوا فمن لم يستطع فلينزل بيده او يستملي بيده او يصوم - [00:31:05](#)

لا النبي صلى الله عليه وسلم قال فعليه بالصيام فانه له وجاء فالعادة السرية لا تجوز وهي حرام وايضا ثبت في الطب الحديث ان لها اضرارا كثيرة منها قد تسبب العقم - [00:31:25](#)

وعدم الانجاب مستقبلا وقد تسبب الضعف والارتخاء عند الرجل الى غير ذلك من الامراض التي ذكرها اهل الطب واهل المعرفة بذلك ونكتفي بهذا القدر والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله - [00:31:41](#)

نبينا محمد - [00:31:59](#)